مولانا الإمام الحسين

للأستاذ حسن كامل الملطاوى

وكيل وزارة الإقتصاد والخزانة ورئيس مجلس إدارة المسجد الحسينى

(٢)

خروج مولانا الحسين إلى العراق :

عاب بعض السفهاء على خروج مولانا الحسين إلى العراق ما دروا أن سفره للعراق جاء نتيجة لبيعتهم له على يد ابن عمه مسلم بن عقيل الذى سبقه فى السفر إلى العراق بناء على رسائل تتعابعت على مولانا الحسين من أعيان العراق حتى بلغت الألوف .

وذلك بعد أن جعل معاوية الخلافة لابنه اليزيد تعييناً لا انتخابا كما كان الأمر قبل ذلك .

وما كان لمولانا الحسين أن يتأخر عن نصرة المؤمنين الذين يريدون لدينهم ودنياهم أماما من طرازه الممتاز وخاصة بعد أن أخذ عليهم البيعة ابن عمه مسلم بن عقيل فهجرته للعراق كانت ولا شك هجرة لله ورسوله .

على أن أهل العراق بعد أن بايعوه نكثوا عهدهم وأراد رجال اليزيد الفاسق بمولانا الحسين كيداً ومكن لهم فى ذلك قتل مسلم بن عقيل غدرة وتولى التدبير الآثم عبيد الله بن زياد الذى باع دينه بدنياه .

وأرادها مولانا الحسين سلماً وأرادها بن زياد حرباً وأبى مولانا الحسين أن يبدأهم بغدر ولكن طلب إليهم أن يرجع إلى الحجاز أو ينحاز إلى ثغر من ثغور المسلمين يعيش بينهم له مالهم وعليه ما عليهم ويمكنوه من مقابلة اليزيد ليتفاهم معه فى الأمر .

وكان من الغادرين اللئام أنهم ضيقوا عليه المسالك ولم يقبلوا واحدة مما عرض عليهم ولكنهم كما يقول الأستاذ زكى الحلوانى :

مالوا إلى حظ الحياة فتاوأوا ملكا من الإيمان لا يتداعى
والحقد يطغى باللئيم فلا يرى من ضعفه ألا الخيانة باعا

ووقع قدر الله واستشهد أولا أصحابه الأكرمون ثم آل بيته ثم هو نفسه وكان استشهادهم دفاعا عن أنفسهم حيث بدأ الخصوم بالغدر الذى استذلهم به الشيطان — وحق الدفاع عن النفس حق مشروع وشجاعته وأقدامه يأبيان عليه أن يولى الأدبار فى ساحة الشرف وما أبدع ما يقوله صديق الفاضل الشيخ الصاوى شعلان فى هذه المناسبة :

والحر يؤثر أن يموت بعزمه أسداً ولا يحيا بمكر الثعلب

شهامته ورجولته وإيمانه :

وانظروا إلى هؤلاء الشجعان من أصحابه رضى الله عنه وكيف كانت معنوياتهم فى الذود عنه لا بالبنان بل بالروح والوجدان .

فهذا زهير بن القين يقول لمولانا الحسين وهو يستميت فى نصرته :

والله لوددت أنى قتلت ثم نشرت ثم قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى أقتل كذا ألف قتله وأن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أهلك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهلك .

وناصر آخر لا اذكر اسمه ولعله سيدى حبيب بن مظاهر :

والله لا نخليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيك والله لو علمت أنى أقتل ثم أحيا ثم أحرق حيا ثم أذر يفعل ذلك بى سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامى دونك فكيف لا أفعل ذلك وإنما هى قتلة واحدة ثم هى الكرامة التى لا انقضاء لها أبداً .

استشهد مولانا الحسين بعد أن استشهد من معه من أصحابه وآل بيته من الرجال

والشباب ولم يسلم من القتل ألا مولانا على زين العابدين وكان مريضاً ملازماً الفراش فجعل الله منه نسل الأشراف من فرع مولانا الحسين .

وقد تمثل مولانا الحسين حين خوفوه بالموت بأبيات من الشعر خالدة هى : —

سأمضى وما بالموت عار على الفتى إذا ما نوى خيراً وجاهد مسلماً
وآسى الرجال الصالحين بنفسه وخالف مثبوراً وفارق مجرما
فإن عشت لم أندم وأن مت لم ألم كفى بك ذلا أن تعيش وترغما

واستشهاده رضى الله عنه غير مجرى التاريخ وكانت له نتائج كبرى ومن ذلك :

١ — أن حياة الدولة الأموية لم تطل حتى أنها لم تبلغ قرناً من الزمان بل حكمت ألف شهر .

٢ — أن استشهاده مهد لقيام الدولة العباسية فى الشرق والدولة الأموية فى المغرب .

٣ — أنه مهد لقيام الدولة الفاطمية .

٤ — أنه كان سبباً فى ظهور مذهب الشيعة .

ومن عجيب أمره عليه السلام أن الذين قتلوه تشيعوا له بعد قتله ولا يزال العراق للآن معقل الشيعة .

وشاء الله العادل أن تدخل رأس بن زياد على مولانا على زين العابدين وهو يتغدى فى يوم عاشورا كما دخلت رأس مولانا الحسين على ابن زياد وهو يتغدى فى يوم عاشوراء وذلك بعد مقتله بخمس سنوات ولكن أين الثرى من الثريا .

كما شاء الله العادل أن يموت من منعه الماء بالعطش حيث كان يشرب الماء ثم يتقاياه ، كما وطىء صدر من وطىء صدره الشريف وللآخرة أشد بأساً وأشد تنكيلا.

حكمة من الله :

وقد كان البلاء على المؤمنين شديداً بمقتل مولانا الحسين رضى الله عنه ولكنه انطوى على حكمة بالغة فقد صارت الحادثة سلوى لأهل البلاء على مر الأيام .

فما من مبتل فى الأمة المحمدية ألا ويواسى نفسه بصبر مولانا الحسين واحتماله الأذى فى يقين .

وفى ذلك يقول السيد / محمد اقبال مخاطبا المؤمنين :

وحسين فى الأحرار والابرار ما أزكى شمائله وما أنداها
فتعلموا رى اليقين من الحسين إذا الحوادث أظلمت بدجاها
وتعلموا حرية الإيمان من صبر الحسين وقد أجاب نداها

محبة أهل مصر لمولانا الحسين وآل البيت :

ويتميز أهل مصر بحب مولانا الحسين رضى الله عنه وحب السادة والسيدات آل البيت الأحياء منهم والمنتقلين حتى أن أهل الريف إذا وفدوا إلى القاهرة رأوا واجباً عليهم حتما أن يؤدوا حق الزرياة لآل البيت الكرام ويخصون بالذات عميدهم مولانا الحسين وشقيقته مولاتنا زينب رضى الله عن الجميع ، وقد كان والدى رحمه الله يحرص على ذلك كل الحرص وكان يصحبنى وأنا طفل صغير إلى ساحتهم المباركة ولا يزال أثر ذلك فى نفسى كبيراً .

وهذا الحب القلبى وصلة قوية لأهل مصر بمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك تجدهم أكثر المؤمنين توفيقاً فى زيارته صلى الله عليه وسلم ويتأكد ذلك لكل من زراه صلى الله عليه وسلم بالمدينة وخاصة فى رجب فإنه يجد أهل مصر فى الروضة النبوية عن يمين وشمال يعرفهم بسيماهم من الصدق والصفاء والوفاء .

وقد جاورنى فى الروضة هذا العام رجل من أهل الفضل بالحجاز فحيا أهل مصر فى شخصى وردد على سمعى قول أمامنا البوصيرى بعد أن امتدحه فيما قال رضى الله عنه فى همزيته المشهورة :

ويح قوم جفوا نبيا بأرض الفتة ضبابها والظباء
وسلوه وحن جذع إليه وقلوه ووده الغرباء

ثم توطدت الصداقة بينى وبين هذا الفاضل فحياني بقصيدة من شعره تعرض فيها لفضل مولانا الحسين رضى الله عنه على أهل مصر وكان فيما قال :

ولدى الروضة كان الملتقى برجال الفضل فى دنيا ودين
الحسين السبط قد طهرهم فى حماه فأتونا طاهرين

ويستبعد المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ذلك الأثر الذى يشير إليه صديق الفاضل لأنهم لم يذوقوه وقد قيل وما أبدع ما قيل .

لا تسل وصف حبهم فهو سر بسوى الذوق ماله إفشاء

وكيف لا نتأثر بجوارهم ، وزيارتهم ونحن نذكر بهم مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحفظ بزيارتهم حرمته الشريفة . كما أننا بزيارتهم نوثق الإيمان بالله ورسوله ونقف عند حدود الله التى جاءتنا على يد مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنترسم خطاهم ونقتدى بهم فى القول والعمل .

وإذا قام لديك شك فى أثر مودتهم على الأرواح فقارن بين دين المتمردين عليهم وبين دين الجافين لهم وأنت ترى الفرق واضحاً جليا فهو فرق بين الإيمان والنفاق وبين الوئام والشقاق فهم يلعبون النرد (الطاولة) فى المقاهى بينما يؤدى الزائرون فريضة الصلاة فى أوقاتها جماعة وهم يغتابون الأعراض والزائرون يرتلون فى رحاب آل البيت آيات الله فى يقين وخشوع أو يستمعون ما يوعظون به من أهل العلم .